محاضرات

عن الإسلام من نفحات البلد الحرام

لفضيلة

الأستاذ العلامة الجليل

السيد علوى بن عباس المالكى المكى

المدرس بالمسجد الحرام

نفع الله به

الطبعة الثانية

سنة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

بالقاهرة

مطبعة المدنى

٦٨ شارع العباسية — بالقاهرة

محاضرات

عن الإسلام من نفحات البلد الحرام

لفضيلة

الأستاذ العلامة الجليل

السيد علوى بن عباس المالكى المكى

المدرس بالمسجد الحرام

نفع الله به

الطبعة الثانية

سنة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

بالقاهرة

مطبعة المدني

٦٨ شارع العباسية ـ بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ أما بعد ﴾ : فيقول خادم العلم الشريف بمدرسة الفلاح ، والمسجد الحرام علوى بن السيد عباس المالكى المكى لطف الله به : هذه مجموعة من المحاضرات الدينية الاجتماعية التى أسهمت بها فى خدمة المجتمع الإسلامى لمعالجة بعض الأمراض الاجتماعية ، وكنت قد ألقيت غالبها فى المسجد الحرام ومحافل العلم والدراسة بمكة المكرمة ، وقد ألحَّ على ـ من لا تسعنى مخالفته ـ بجمعها فلبَّيت طلبه راجياً النفع بها ، وسائلا من الله القبول ، ومؤملا من إخوانى العفو عما وقع فيها من الزلل والخطأ ، فإن الإنسان لا يخلو غالباً من العثار ، والنسيانُ والكمال للمولى ذى الجلال ، وختاماً أسأل الله عزَّ وجلَّ أن ينفع بها ويجعلها لى ذُخراً يوم الحشر والحساب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحاضرة الأولى

محاسن الإسلام

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

كم لهذا الدِّين الإسلامى من محاسن كثيرة وفضائل جمة وآثار جليلة تحمل ذوى العقول السليمة والفِطَر المستقيمة على التمسك به والتحلِّى بآدابه والاهتداء بنوره ، وكلما كان المرء سليم العقل ، نيِّر البصيرة ، اشتد تعلقه بهذا الدين الحنيف لما فيه من جليل المحاسن وجميل الفضائل .

لقد أخرج الله العرب الأمِّيين بهذا الدين الربانى من الجهل إلى العلم ، ومن التفرق إلى الاتحاد ، ومن الخمول إلى الشهرة ، ومن الجمود إلى التفكير الناضج ، وأبدلهم بالخوف أمناً ، وبالعداوة محبةً ، وبالضعف قوةً ، وبالذل عِزًّا ، وبالفقر غِنًى ، وبجفاء الطباع وغلظ الأكباد رأفةً ورحمةً ، وبالتوحش والهمجية مدنيةً وحضارةً ، وبالتفرق وَحدةً .

الله أكبر ! ما أجلَّ حكمةَ هذا التشريع الإسلامى ، لقد صاغهم إخواناً وألَّف بين قلوبهم فكانوا أمة شديدة البأس ، عظيمة القوة ، واسعة السلطان ، منهم أساتذة العالم علماً وسياسة وأدباً ، أئمة الفنون اختراعاً وتطبيقاً ، قلمهم يكتب فيُطاع ، وحُسامهم يُنتَضَى فيُهاب ، ورايتهم تخفق على رُبَا الكون فيجرى من تحتها العدلُ والسلامُ ، بعد [illegible] الناس في جاهليتهم أذلاء .

فقد ضربهم الجهل بسوط من عذاب الهُونِ ، وبسط عليهم أيديا كالحجارة أو أشد قسوة فصاروا إلى تقاطع وتدابر ، وتنافر وتناحر ، وغفلة وركود ، وباطل وهزل ، وتباطؤ وبلاء ، فصاح بهم منادى الإيمان : ﴿أن آمِنُوا بربكم﴾ فآمنوا وقلّبوا أنظارهم فى كل ناحية من نواحى حياتهم وتدبّروا شؤونهم فما كان من خلل أصلحوه ، وما ظهر من عِوَج قوّموه ، واستعاضوا الباطل بالحق ، والهزل بالجِد ، والتباطؤ بالعمل ، والبلاء بالسعادة ، والركود باليقظة ، والتدابر بالتناصح والأخوّة ، والتفرقَ بالحزم والاجتماع ، فبنَوا مجداً وسيادة وكانوا خيرَ أمة تمثل الشهامة والكمال والحكمة : ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

ويؤمنون بالله لا يبتغون بذلك الإصلاح والتقويم إلا وجه الله العظيم .

أليس هذا كله بفضل دين الإسلام وحقائقه النقية وأصوله المحكمة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيل من حكيم حميد . سبحانك اللهم أنت العليم الحكيم ، إنَّ الدين عندك هو الإسلام، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن تقبله منه ، بل تجعل عمله هَباء منثورا .. اهْدِنا الصراط المستقيم ووفّقنا للعمل بالدين القويم حتى نكون فى الأرض خيرَ خلفاء ، ونعيد مجد السلف من الآباء ، وألهِمْنا معرفة أسرار تشريعك حتى نعبدك على ضوء اليقين والإخلاص فإنك تَهدى من تشاء وتُضِل من تشاء وأنت على كل شىء قدير .

هذا هو الدين الصحيح ومنبع الأخلاق والأسرار والأنوار، هذا هو النّهج القويم ونعمة الرب العظيم وملة المختار ، لقد هامت بحبه النفوس الطاهرة التى لم تتدنس لأنها أدركت مزاياه ، ولا عَجَب فهو دين فتَح أقفال المشكلات ، وأزال الحجاب عن مُحَيّا الحقائق ، دِينٌ ربانى شهد له أعداؤه أنه ينشر نفسه بنفسه من غير تبشير من أهله ولا غرامة .

دين يكيد له حسّاده من يوم أُنزِل وهو كما ترى لم يطفأ له نور ؛ ولم يضعف برهان : ﴿ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

دينٌ نرى مِن مبغضيه مَن يقتربون منه كل يوم من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، ذلك أنهم بهذه المكتشفات الحديثة والعلوم الجديدة لم يزيدوا على أنهم بلسان حالهم به يصدقون ، و بفضله يشهدون وإن كانوا يكابرن . قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

دينٌ أنجب من العلماء والعظماء مالم يُنجِبه قبله دين ، أنجب مثل الصدِّيق في ثباته وحلمه ، ومثلَ الفاروق فى غَيرته وعدله ، ومثل ذى النورين فى إخلاصه ونسكه ، ومثل أبى السبطين فى شجاعته وعلمه .

دينٌ يُشَيَّـــدُ آية فِي آيةٍ لَبِنَاتُهُ السُّورَاتُ والأَضْوَاء
الحَقُّ فِيهِ هُوَالأَسَاسُ وَكَيْفَ لاَ واللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ الْبنَّاء

دينٌ حافظ على العقول والأعراض ، فحرَّم الخمر والقذف وحكمَ بجلد من يتناول جرعة من المسكر أو يطعن فى عرض أخيه .

دينٌ حافظ على المروءة والعفة والأنساب فأحلَّ النكاح وحرَّم الزنى ، ومقدماته : وقضى بجلد غير المُحْصَن والنفى عن الوطن تأديباً ، وبرجم المحصن يموت ميتة الكلاب صيانةً للأخلاق والأنساب .

دينٌ حفظ نظام العالَم من الفوضى والاضطراب فشرع من المعاملات مافيه راحة المجتمع ، فحَرَّم الربا وأحلَّ البيع والشراء والرهن والقَرْض والحوالة والعارية والإجارة والشركة والقِراض لتبادل المنافع على أحسن وجه .

دينٌ فرض العقوبات لزجر النفوس وردعها عن القبائح ، محافظة على الأرواح والأموال فكتب القصاص : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

وحكم بقطع يد السارق تنكيلا به وليكون ذلك إعلاناً عاماً متحركاً

للاعتبار فقال : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ولذا قيل :

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ... مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ ؟
عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا ... ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

دينٌ شرع من العبادات الصلوات ، وسنّها فى جماعة تهذيباً للنفوس و بعثاً لروح الاخاء ، بتأكيد رابطة اللقاء ، وأوجب الزكاة تطهيراً للنفوس من رذيلة الشُّح وحضاً على السخاء وتقوية لمحبة الفقراء الأغنياء ، وأوجب الصيام تزكية الروح لتشعر بألم الجوع فتميل للعطف وتتعوّد قوة الإرادة فى كبح جماح الشهوات ، وسنّ الحج فى صعيد عرفات للتعارف والتآلف والدعاء وإظهار الخضوع من العبد لأوامر سيده ، والتعاون على الخير والاصلاح .

دينٌ كتابه القرآن الجامع ، والنور اللامع ، والهدى والرحمة ، والذكرى للعباد ، ولذا نسمع الافتتاح به فى كل إذاعة حتى من مواطن الضلال ليرسل على الكون شعاعه ، وليثبت أنه الكتاب الحق الذى جاء مهيمنا على الكتب كلها : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

دينٌ جاء نبيه صلى الله عليه وسلم متمماً لمكارم الأخلاق ، فما من فضيلة إلا حثّ عليها ، وما من رذيلة إلا حذّر منها :

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ ... فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ ... وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ

وقد مال أبناء الإسلام اليوم ـ إلا من عصم الله ـ إلى تقاليد غربية وروايات غرامية وقصص ملفقة وآراء خاطئة ومذاهب ضالة فنأى ذلك بأكثرهم عن محجة الإسلام ، وجنح إلى دراسة الاسلام وأسرار تشريعه من لا يمتّ إليه صلة ،

﴿ ومن لم يجعلِ اللهُ له نُوراً فما له من نور ﴾ فاعتنق بعضهم دين الإسلام لما تجلّى لهم من حكمته واستبان من فضله بعد هذه الأحقاب الطويلة ، وإن الله ليهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

فأين علماء الإسلام الدعاة إلى الدين الحق ؟ لم لاينصحون ويوضّحون للجاهلين حِكَمَ هذا الدين الحنيف ؟ وما لذلك الذى مالوا إليه من الأثر السيء والخطر الجسيم .

وأين البعثات العلمية تجوب الأقطار لشرح تعاليمه ونشر آدابه وتبيان أسراره ليهتدى الحائر إلى سواء السبيل ؟ ولتظهر له حكمة التشريع بالدليل والتعليل ؟ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ .

هذه لمحة خاطفة فى محاسن الإسلام والدعوة إلى الله ، نسأله عزّ وجلّ أن يوفقنا لذلك وأن ينصر الإسلام والمسلمين والحمد لله رب العالمين .

المحاضرة الثانية

في محاسن الإسلام :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾

لا نزال نسمع فى كل حين أنباء سارة بدخول أناس وجماعات فى دين الإسلام مع توانى كثير من علماء المسلمين اليوم فى القيام بواجبهم من الدعوة إلى الله تعالى وتبيين محاسن الإسلام وتفصيل أسرار التشريع ، وفى السير فى مناكب الأرض لإرشاد الضال وهداية الحائر ودعوة العباد إلى اعتناق أشرف الأديان دين الحياة والاصلاح ، دين الرقى والحضارة ، دين الحق والخلود ، دين صالح لكل زمان ومكان كافل لسعادة البشر ، فلا عجب أن ينتشر بفضل مبادئه الشريفة وأسراره الجليلة ويبشر عن نفسه بنفسه ، وهذا لاشك من علوّ رتبته وسمو مبادئه ونُبل أهدافه وجليل أسراره وبديع محاسنه ، إن هذا الدين الإسلامى قد أكمله الله لعباده وأتمّ عليهم النعمة بإنزال القرآن وبعثة خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ثم رضيه لنا دينا فقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

فأى دين أجل من هذا الدين وأعظم ؟ لقد جعله الله خاتم الأديان ، ولم يكن هذا الدين لأهله وحدهم ، لا بل شمل بظله الوارف أهل الذمة والأعداء ولم يفرق بين أسود وأبيض ، ولا بين عربى وعجمى ، الكل فى الحقوق سواء لاتفاضل إلا بالتقوى فهى الشرف الحقيقى والكرامة . قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

هذه الحضارة الإسلامية الحقيقية التى يشترك فيها بنو الإنسان ويتمتع بمزاياها المسلمون وغيرهم تتجلى فيها عظمة الإسلام ، لقد فرض الله تعالى فى الإسلام العدل حتى فى معاملة الأعداء ، فقال تعالى : ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

عدلٌ شامل ، ورحمة واسعة ، ونظام سام ، وحضارة راقية ، وتهذيب إنسانى ، وارتقاء بالضمير الحى إلى أفق الطهارة والانصاف من حضيض الدنس والاعتساف فليسمع هؤلاء المفتونون بالحضارات الزائفة البراقة وليعلموا أنها مظاهر لا حقائق ، وأجساد بلا أرواح وحضارات بلا قلوب ، لاتهذّب النفوس ، ولاتسمو بالأمم ، ولاتنجى من العقاب والعذاب ، ولينظروا آثارها من الاستبداد والقسوة والإجرام والاستعباد والتفريق بين العناصر وقهر الضعفاء .

أما الإسلام فما أعظم مزاياه وما أجمل محاسنه الجليلة ، إنه دين سماوى كامل ، فيه المثل العليا للأخلاق الفاضلة والمزايا الكاملة والعدل والحرية والاخاء ، فلا سلام للعالم اليوم إلا باتباع تعاليمه السمحة القويمة .

فهناك العيشُ وبهجتهُ فلِمتَهجٍ ولمُبتَهجِ

ومهما حاول بلغاء الكتاب ومصاقع الخطباء أن يحيطوا بمحاسنه وصفاته ومتانة أصوله وفروعه وحكم تشريعه فلن يبلغوا الغاية من ذلك ، ولا مايقرب منها .

لقد أنبلج نور الحق فى أفق الكون منذ أربعة عشر قرنا فانقشعت به ظلمات الجهالة ، والضلالة ، وخفقت أعلام التوحيد على ربا المعمورة وأدى النبى صلى الله عليه وسلم رسالته كاملة غير منقوصة ، واقتفى نهجه أصحابه الغرُّ الميامين والتابعون لهم باحسان وقاموا بنشر تعاليمه السامية فى جميع الأقطار ، فعمَّ السلام واستقرت الطمأنينة بين الأنام ودخل الناس فى دين الله أفواجا لما

تحققوا ما تصبو إليه نفوسهم من سعادة شاملة ورغد عيش كامل — هذا هو الإسلام وتلك نبذ من محاسنه الجليلة لا تزداد على مر الأحقاب إلا جمالا وبهاء .

هَذَا هُوَ الدِّينُ المَتِينُ وَمَنْبَعُ الـ ... خَيْرِ العَمِيمِ وَمَظْهَرُ الأَسْرَارِ
هَذَا هُوَ السَّعْدُ التَّلِيدُ وَمَشْرِقُ الـ ... نُّورِ المُبِينِ وَمِـلَّةُ المُخْتَارِ

لقد مرت على المسلمين عصور وهم يرفلون فى حلل العزة والمجد والسعادة والهناء ، وإنه لماضٍ جدير بالذكر الحسن والإعجاب بسطوا فيه سلطانهم على الأمم فى مختلف الأقطار ، وفتحوا بالعلم والأخلاق والفنون القلوبَ قبل القوالب والحصون ، فانقاد الناس طائعين راضين .

وقد كان هذا حين كان المسلمون متمسكين بتعاليم الدين القويم ، كيف والإسلام دين عمل ، وإنما أعرض عنه المتكاسلون ، ودين علم ، وإنما أحجم عنه الجاهلون ، ودين عدل ، وإنما ابتعد عنه الجائرون .

فما بالنا اليوم تأخرنا وإلى أى حدٍّ وصلنا ؟ لقد أمرنا الإسلام بالعلم فركنّا إلى الجهل ، وحثنا على العمل فاستكنّا للتكاسل ، وحضّنا على الصدق والأمانة فانطوينا على الغش والخيانة ، وأمرنا بالاعتصام بحبل الله جميعا فتفرقنا طرائق قِدَدًا ، وراحت كل فرقة تناحر الأخرى وتناصبها العِداء حتى استحكمت بينهم العداوة والبغضاء .

أما آن لنا أن نتمسك بديننا وتعَض بالنواجذ على تعاليم نبينا صلى الله عليه وسلم لنستعيد سالف مجدنا وسؤددنا .

لقد كان صرح الإسلام مشيداً غير لبنة واحدة ، فكان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام موضع تلك اللبنة ، فما من تشريع قوى متين محكم وما من إصلاح عام شامل يكون منهجاً للأجيال المقبلة إلاَّ وقد جاء به الإسلام ورسمه طريقا للسعادة الدنيوية والأخروية فأصلح الحاكمَ والمحكوم والأغنياء والفقراء

وأرشدَ التجار والصناع ، ونصح الأسر والأولاد والخدم وحض الحكام على العدل وحذرهم عاقبة الظلم فقال تعالى : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) . وأوجب على الأمة أن تكون عونا للحاكم على الخير ومنفرة له عن الشر فقال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) . وبيّن أن الركون إلى الظالمين سبب العذاب وخذلان الله تعالى فقال عز وجل ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ .

ونهى عن مسايرة العاطفة المتغلبة على العقل فى المعاملة بحيث تؤدى إلى تفويت المصلحة وتحصيل الضرر فأمر بالقيام للحق ولو كان ذاك عكس مصلحة ذويه فقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾ .

إما إصلاحه للتجار ففى القرآن منه الكثير النافع كقوله عز وجل : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَيلٌ للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألاَ يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ .

وأما إصلاحه الأسر ، فقد أوفى على الغاية ، فقد نظم الحياة الزوجية وبين الحقوق بالمعروف فقال تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . وقال ﴿ الطلاق مرّتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ ﴾

وقد قرر الإسلام أيضا الدواء للفقر والعلاج للحالة الاقتصادية ففرض على الأغنياء الزكاة فى أموالهم تطهيرا للنفوس من رذيلة البخل وعطفا على الضعفاء والمساكين ، واستلالا لبغضهم الأثرياء وحسدهم لهم كما أمر المعوزين بالصبر ووعدهم بالمثوبة وحذرهم من إراقة ماء وجوههم وألهب هممهم حبا فى العمل وتحذيرا من الكسل .

وأما إصلاحه للعمال والمتعاملين فقد حثهم على الصدق والأمانة فى صناعاتهم وحذرهم من الغش والخيانة ، فقال عليه السلام :

﴿ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ﴾[1] وقال أيضا : ﴿ أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ولاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ ﴾ .

وأبطل ظلم الجاهلية فى إبطال إرث النساء ، وقدّر للمواريث فقال تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ والْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ .

ونهى عن الإسراف وأمر بالاعتدال فى الانفاق فقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ .

وحذر من فتنه المال وبيّن أنه إذا كثر يلهى ويطغى إلا من عصم الله ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وقال ﴿ إن الإنسان لَيطغى أنْ رآه استغنى ﴾ .

وشرع الحدود زجراً للنفوس فى أسمى سياسة شرعية فى إصلاح الراعى والرعية .

---

(١) يروى هذا الحديث من طريق صحيح هكذا (من غش فليس منا) وهذه الرواية مع صحتها أوسع معنى لأنها تنفى أخلاق الإسلام عن الغاش مطلقاً سواء غشنا أو غش غيرنا . ا هـ . مصحح .

وقد قال أمير الشعراء أحمد شوقى يصف جوهر الدين الإسلامى :

دِينٌ يُشَيَّدُ آيَةً فِي آيَةٍ لَبِنَاتُهُ السُّورَاتُ وَالأَضْوَاء
الْحَقُّ فِيهِ هُوَ الأَسَاسُ وَكَيْفَ لاَ وَاللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ الْبَنَّاء
بِكَ يَابْنَ عَبْدِ اللهِ قَامَتْ سَمْحَةٌ بِالْحَقِّ مِنْ مِلَلِ الْهُدَى غَرَّاء
بُنِيَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَهْوَ حَقِيقَةٌ نَادَى بِهَا سُقْرَاطُ وَالْحُكَمَاء
الإِشْتِرَاكِيُّونَ أَنْتَ إِمَامُهُمْ لَوْلاَ دَعَاوَى الْقَوْمِ وَالْغُلَوَاء
دَاوَيْتَ مُتَّئِدًا وَدَاوَوْا طَفْرَةً وَأَخَفُّ مِنْ بَعْضِ الدَّوَاءِ الدَّاء
الْحَرْبُ فِي حَقٍّ لَدَيْكَ شَرِيعَةٌ وَمِنَ السُّمُومِ النَّاقِعَاتِ دَوَاء
وَالْبِرُّ عِنْدَكَ ذِمَّةٌ وَفَرِيضَةٌ لاَ مِنَّةٌ مَمْنُونَةٌ وَجِبَاء
جَاءَتْ فَوَحَّدَتِ الزَّكَاةُ سَبِيلَهُ حَتَّى الْتَقَى الْكُرَمَاءُ وَالْبُخَلاَء[1]
أَنْصَفْتَ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى
فَالْكُلُّ فِي حَقِّ الْحَيَاةِ سَوَاء

(١) هذا وما بعده بيان لقوله قبله « الإشتراكيون أنت إمامهم » .

المحاضرة الثالثة

عناية الإسلام بالنظافة والصحة

ندب الشارع الحكيم إلى النظافة وحث على مراعاتها وجعل الطهور مفتاحاً لأشرف عبادة وأجل قربة وهى الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم : « مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطهورُ » .

والإسلام يطلب من المرء أن ينظف نفسه خمس مرات فى اليوم والليلة فى أوقات متفاوتة ليدل أوكد دلالة على ما لذلك من الأثر والفضل فى الصحة وفى التهيؤ لمناجاة مولاه وتدبر آياته ومن المأثور عن الحكماء « العقل السليم فى الجسم السليم » ولم يفرض الله تعالى هذه النظافة ليشق علينا ولكن ليطهرنا لعبادته ويؤهلنا لمناجاته وليتم علينا نعمة الصحة والهناء فى الحياة قال تعالى :

﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ولَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

فالمؤمن النظيف أحسن مواجهة وأطيب ريحاً وألطف منظرا وأسلم ملامسة وأزكى نفساً وأقرب إلى الملائكة الكرام وأحق بمحبة الله وتلاوة كلامه العزيز ، وأسعد باتباع السنة من المسلم الذى لا يعطى النظافة حقها .

فالإسلام دين النظافة والصحة يحافظ عليهما ويحث على إعمال الجهد فى تنظيف الأجسام والثياب والمساكن والأوانى بل والطرقات المسلوكة حتى جعل إماطة الأذى عن الطريق من شُعب الإيمان .

وقد راعى الناحية الصحية فى التعامل والحضر والسفر والنوم والعمل تمام المراعاة .

ومن المعلوم أن بلاد العرب تكثر فيها الرياح العاصفة فتثير رمالا هُوجا تدخل من وقتها بين المرء وشعاره فتتراكم مع العرق الذى سببته الشمس اللافحة فتحدث قذارة ورائحة تزكم الأنوف وتغثى النفوس ، فكيف تسلم صحته ويصلح لمناجاة ربه وملاقاة ملائكته ودخول بيوت الله عز وجل والاجتماع فيها بإخوانه المؤمنين عند تأدية العبادة والاعتكاف وسماع الدروس والذكر والطواف ؟؟

لهذا كله شرع الله تعالى الوضوء للصلوات الخمس وفضل أن يكون لكل صلاة وضوء خاص بها بل جعل الوضوء على الوضوء نوراً ليكون أبلغ فى النظافة ولئلا يمسك المرء نفسه عن قضاء الحاجة ويكتفى بوضوء واحد فيتعب ويمرض .

تدرج الإسلام فى هذه الطهارة لإجبارية من غسل اليدين إلى الرسغين قبل ادخالها فى الإناء محافظة على طهورية الماء ونظافة الإناء إلى مضمضة الفم الذى تتراكم فيه بقايا الأطعمة بين الأسنان فتسبب السوس الذى ينخرها ويفسدها ، ولذا شرع السواك وحث عليه وأكثر من تعداد محاسنه وفوائده لتشتد اللثة وتطيب النكهة ويزول الأذى من فيه الذى يقرأ به القرآن ويناجى به الرحمن فقال صلى الله عليه وسلم :

« لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ كَمَا أَمَرْتُهُمْ بِالْوُضُوءِ » .

ثم تدرج إلى غسل الأنف بالاستنشاق والاستنثار تنظيفا لمسالكه لأنه أساس الدورة الهوائية وإزالة لما يعلق به من غبار وأذى .

ومن عادة الإنسان رجلا كان أو امرأة إذا عمل عملا أن يباشر ذلك العمل مقبلا عليه بوجهه مشمرا عن أكمامه إلى مرفقيه فشرع له غسل الوجه واليدين وأمره بمسح رأسه إزالة لغباره فإ[illegible] موضعا مكشوفا إلا طلب غسله

ثلاث مرات الأولى لنظافة سطحه والثانية لنظافة العضو نفسه والثالثة مؤكدة لتمام هذه النظافة ، وشرع التخليل للأصابع ومسح الأذنين وتتبع ما غار من مواضع وضوئه إزالة للعرق والإفرازات التى لا تذهب إلا باجادة الغسل وطلبا لكمال النشاط والتنبيه ، وشرع غسل الرجلين إلى الكعبين لكثرة ملابستهما التراب والغبار لا سيما الأعقاب التى يختفى الأذى فى تكاميشها .

هذا سر ما فرضه الإسلام فى نظافة الأعضاء خاصة ، أما نظافة الجسم عامة فقد شرع الغسل عند الاتصال الجنسى بين الزوجين وعند طهارة المرأة من الحيض والنفاس وعند قصد الاجتماعات الدينية كصلاة الجمعة وصلاة العيدين .

هذا قبَس من تعاليم الدين الإسلامى الصحيح الذى وضع لوائح صحية تهيىء الإنسان حياة كاملة بعيدة عن الأمراض ما أمكن وسن قوانين سماوية تؤدى إلى حفظ الصحة وكمال القوة .

وقد اعتنى الإسلام مع هذا بتطهير الباطن من دَرَن الأخلاق وسوء الطباع فحث على تطهير القلب وتصفيته من الأغيار لتصفو مرآته فتنطبع فيه صور المحاسن وترقى الروح إلى المستوى الأعلى مستمطرة سحب الرحمة الربانية لتفوز بالنفحات والخيرات المفاضة عليها ولذا قال عليه السلام :

« إنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ » .

وقد شرع الإسلام قلم الأظافر وحلق العانة ونتف الإبط والختان رعاية للنظافة وحذراً مما يتجمد من الأذى تحت الأظافر ومنابت الشعر وجلدة الإحليل .

هذا أجل ترتيب فى التربية البدنية الصحية لمحاربة الجراثيم وإزالة الأقذار ومقاومة السموم ، فما أجل هذا الدين وما أعظم مبادئه وإرشاداته .

ولكمال عناية الإسلام بالنظافة شرع غسل الميت ليلقى ربه طاهراً نظيفاً مطيباً .

ولقد حرّم الإسلام جميع الخبائث ومنها أكل الميتة لتراكم الجراثيم فيها وأكل لحم الخنزير لضرره ، وشرب الخمر لما فيها من الكحول الكثيرة التى تحاصر العقل وتفسده ، وحرّم الدم لفساده بعد وقت ضئيل ، كما أمر بالفرار من المجذومين ، وأمر بمحاصرة الوباء فى منطقة معينة ، فنهى من كان فى أرض الطاعون من الخروج منها ومن كان بعيداً عنها من الدخول إليها ، كل ذلك شُرع محافظة على الصحة ورعاية للمصلحة وخشية انتشار الأمراض والوباء .

وأمر الشرع أيضاً بالصيام إراحة للجهاز الهضمى فيحصل الاستجمام والهدوء وتستعيد المعدة نشاطها الجديد بعد الصيام .

أليست هذه كلها أدلة واضحة على اعتناء الإسلام بالصحة والنظافة ؟ وأنه حث على أصول الصحة العامة قبل ظهور العلم الحديث ، وكيف لا وهو الدستور الربانى الذى يكفل السعادة للبشر فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ، أما مايتعلق بالثواب على مراعاة هذه الآداب فذلك قد تكفلت ببيانه معاجم السنة النبوية ولنا كلمة أخرى إن شاء الله تعالى حول الطب النبوى وأسراره أدام الله علينا جميعاً نعمة الصحة والعافية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحاضرة الرابعة

من أسرار التشريع الإســلامى

الطب النبوى الشريف

يعتقد بعض الجهَلة أن دين الإسلام جاء بطب الأرواح دون طب الأشباح وهذا اعتقاد باطل . فإن الإسلام وهو دين الحياة والخلود ، والإصلاح والعمل كما اشتمل على نظم دينية ، وقوانين جنائية ، ودساتير اجتماعية وآداب خلقية اشتمل على أصول طبية وقائية وعلاجية ، كلها تعود بالنفع العام على متّبعيه فى الدين والدنيا والآخرة ، كما حمل مَنهجاً جديداً للحياة الإنسانية فكان قَبَساً مضيئاً استنارت به البشرية ، وأشرق على العالم عند حلول المشكلات فأفاض عليها ظهوراً وتحليلا وتوجيهاً .

فهـذا الرسول الكريم طبيب الإنسانية الكامل الذى يتلقى طبَّه من لدن حكيم عليم كما يدعو إلى تزكية لأرواح يحث على تقوية الأبدان وعلاج أمراضها ، ذلك لأن العقل السليم فى الجسم السليم . وسلامة الجسد وقوته يستطيع صاحبه أن يؤدى فرائض الرب تبارك وتعالى ، ويقوم بأنواع العبادات ، وهذه معاجم السنة النبوية تفيض إرشاداً ونوراً ببيان طبه النبوى الشريف .

وقد عقد الأئمة المحدِّثون فى أصولهم كتباً للطب النبوى ، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بطلب المريض الدواء لدائه وقوّى نفسه وحالته المعنوية ليتفاءل خيراً بعلاجه وهذا علاج نفسى هام أيضاً فقال :

« لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا تَحَصَّلَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرِىءَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ »

رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً قال : « ما أنزل الله من داء إلاّ أنزل له شفاء » ، وفى مسند الإمام أحمد من حديث زيادة بن عُلاقة عن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت الأعراب فقالوا : يارسول الله أنتداوى ؟ فقال : « نَعَمْ يا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إلاَّ وضَعَ لَهُ شِفَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ فَقَالُوا : مَاهُوَ ؟ قَالَ : الْهَرَمُ » .

وفى الأدعية النبوية الشريفة قال عليه الصلاة والسلام :

« أسْأَلُكَ الْعَفْوَ والْعَافِيَةَ » .

وإنما خصمها بالذكر لأن العفو يدفع عنه عقوبات الآخرة ، والعافية تدفع عنه أسقام الدنيا وآفاتها فما أوتى أحد بعد اليقين خيراً من العافية ولذا أرشد صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضى الله عنها لما سألته عما تدعو به ليلة القدر ؟ قال صلى الله عليه وسلم العافية أو كما قال ـ فكان صلى الله عليه وسلم المرشد الأعظم والطبيب الأول الأكبر فى وقت لم تكن أسباب المرض معروفة فيه غالباً بل ولا طرق الوقاية والعلاج منها ، فسنَّ عليه الصلاة والسلام للأمة أسباب الوقاية من الأمراض ، وما الطب إلا وقاية ، والوقاية خير من العلاج ، فأمر صلى الله عليه وسلم بالنظافة ومن ذلك تقليم الأظافر ، وحلق العانة ، وغسل الجنابة ، والوضوء للصلاة ، وتنظيف الأسنان بالسواك ، والاستنشاق والاستنثار ، كل ذلك يعمل امتثالا لأمر الله عزَّ وجلَّ ، وتهيئاً لعبادته ومناجاته بإزالة الأوساخ ، ودفع الأتربة ، وتقوية البدن ، ومحاربة الجراثيم الفتاكة التى تكمن فى منافذ الجسد غالباً وتعرز السموم والصفرة وتولد السوس الذى يمشى الأسنان فيفسد اللثة والمعدة ولذا قال عليه الصلاة والسلام :

« لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ كَمَا أَمَرْتُهُمْ بِالْوُضُوءِ » .

وقد نصح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصيحة غالية فبين أن لأبداننا علينا حقاً فلا بد من الراحة وأخذ البدن كفايته من النوم فمن جار على بدنه بالتكليف جار هو عليه أيضاً بالانحلال قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ » .

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، وكان يقوم الليل ويصوم النهار . « إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَقُمْ وأَفْطِرْ وَصُمْ وَنَمْ » .

وقال : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدوا وَقَارِبُوا » .

وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى أن من أقوى أسباب المرض الإسراف فى تناول الطعام والشراب إطاعة للجشع النفسانى فدعا إلى الإقلال وذكر المقدار الذى ينبغى تناوله من ذلك فقال : « مَا مَلَا ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فإِنْ كَانَ لاَبُدَّ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ » .

الله أكبر ما أجل هذا الإرشاد النبوى وما أعظم هذا التدبير الوقائى الطبى فى الإسلام قبل أربعة عشر قرناً ، والطب البشرى يرسف فى أغلال الخفاء والاشكال قبل عصر الاكتشاف والاختراع ، فإذا تأملت أسرار التشريع الإسلامى اتضحت لك عنايته بالوقاية فقد قال صلى الله عليه وسلم :

« فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ » .

وقال لمجذوم جاء لمبايعته : قَدْ بَايَعْنَاكَ .

وقال : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا وَإِذَا نَزَلَ وَأَنتُمْ بِأَرْضٍ فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا » .

وقال عليه الصلاة والسلام فى وقاية الحيوان : « لاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ » .يعنى لايورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل السليمة .

فقد رسم صلى الله عليه وسلم أصول الوقاية للانسان والحيوان .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنْ يَكُنْ الشِّفَاء فَفِي ثَلاَثَةٍ : شَرْبَةِ عَسَلٍ ، أَوْ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أو لذْعَةٍ مِنْ نَارٍ ، وَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِىَ » .

فقرر أصول العلاج ، وذلك بتعديل الأمزجة إذا طغى منها شىء فقال : شربة عسل لتعديل غلبة الصفراء ، وقال شرطة محجم لتعديل غلبة الدم ، وقال لذعة من نار لتعديل غلبة البلغم .

وكذلك عالج صلى الله عليه وسلم بطبه الروحانى القلوب من مرض ضعف اليقين ، فقرر أن الأمور كلها بيد الله وقضائه وقدره وأنه هو الشافى وأن الأمراض لاأثر لها بطبعها ولاتعدى إلا بإذن الله تعالى فقال عليه الصلاة والسلام : « فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ » ، وقال : « لاَ عَدْوَى ، وَلاَ هَامَةَ ، ولاَ طِيَرَةَ ، وَلاَ صَفَرَ » ، وأكل مع مجذوم وقال : « بِسْمِ اللهِ ثِقَةً بِاللهِ وَتَوَكُّلاً عَلَى اللهِ » .

وهذا يدل على كمال الإيمان وصدق اليقين وقوة التوكل على رب العالمين واستقرار النفس ، فإن للنفوس أطواراً ، وإن لكل طور مجالا ، وإن لكل مجال سراً فسبحان العليم الحكيم .

وأمر صلى الله عليه وسلم بتتريب الإناء الذى ولغ الكلب فيه فقال إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحدهن بالتراب ، وقد كشف الطب

الحديث أن بعض الجراثيم الفتاكة لا يبيدها إلا التراب الممزوج بالماء . فيكون هذا من أعلام النبوة ومعجزات الإسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الْآخَرِ شِفَاءً » أخرجه البخاري من طريق أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه أبو داود أيضاً وزاد فيه :

« وَأَنَّهُ يَتَّقِي بِجَنَاحِهِ الَّذِي فِيهِ الدَّاءُ »

وقد دل الحديث على أن فى الذباب قوة سمية كما يدل عليها الورم والحكة الحاصلة من لسعه وهى بمنزلة السلاح فإذا وقع فيما يؤذيه اتقى بسلاحه فيقدم الداء ويؤخر الشفاء فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى أن تقابل تلك السمية بما أودعه الله فيه من الشفاء فى جناحه الآخر بغمسه فيه فيزول ضرره بإذن الله تعالى .

وقد ذكر غير واحد من الأطباء أن لسعة العقرب والزنبور إذا دلك موضعها بالذباب نفع فيه نفعاً بيناً ويسكنها ، وما ذلك إلا للمادة الشفائية التى فيه .

ولننقل لك ما كتبه بعض العلماء الأفاضل تعليقاً على حديث الذباب قال رحمه الله ما ألطف هذا الارشاد ؛ وأضل من عمى عنه وحاد ، وذلك لما فيه من دفع وسوسة الموسوسين وأنفة أهل الكبر والعظمة المتألهين ، وقد وجدت كتابة لأحد الأطباء على هذا الحديث ، فادعى أنه مخالف لما قرره أطباء الإفرنج من أن الذباب لا شفاء فيه بل فيه أدواء كثيرة واستدل بما سطر فى كتبهم وقالته أساطينهم ، وبعد أن أطنب فى استدلاله الموهوم استشكل جريانه على ماقاله الأطباء الافرنج ، فرأى من السهل رد هذا الحديث ، وإن كان صحيحاً متناً وسنداً ، ولا غرابة من أمثاله فإنه حديث عهد بعلم الشريعة المطهرة ، وأغرب من ذلك أن بعض متطفلى العلم استحلى هذا واستعذبه فنقله وجعله تعليقاً على الحديث وسود صحيفتين ، ولعله إشارة إلى سواد صحيفته بين يدى خالقه على رؤس الأشهاد .

ولا شك أن ما يقوله الأطباء فى مثل هذا إنما هو بطريق التخمين والحدس لا بطريق العلم القطعى ، وتقليد أمثال هؤلاء لايخلو من مقال ، ولا نعلم أن السنة الصحيحة تدفع بآراء وظنون أطباء الافرنج ولا سمعنا هذا فى آبائنا الأولين ، ولا نقل هذا أحد من علماء المتأخرين ، ولعل هذا من العلوم الحديثة التى اكتشفها أخيراً ذلك الطبيب الحديث وقلده فيها هذا الكاتب . ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ .

ولقد تطاولت أعناق كثير من هؤلاء الدعاة فى هذا العصر إلى رد كثير من الأحاديث لا لأنها ضعيفة وروداً ، بل لأنها لم توافق آراءهم الكليلة وعقولهم السقيمة وليس هذا أول عشواء خبطوها وفى مهواة من الأهواء أهبطوها ، ولكم نزلوا عن منصة الإيمان بالنص إلى حضيض رده وتأويله ابتغاء الفتنة واستيفاء لما كتب عليهم من المحنة ، ولطالما استوخموا من السنة العذاب ووردوا من حميم الزندقة والبدع موارد العذاب ، ولكنهم لايشعرون ، وإنهم ليحسبون أنهم يحسنون صنعاً ولبئس ما كانوا يصنعون ، انتهى .

* * *

هذه قطرة من بحر ودرة من عقد وغيض من فيض من أسرار الطب النبوى ولقد اشتمل القرآن العظيم على نظام طبى جليل فى حياة الإنسان ولذا قيل :

لَقَدْ جَمَعَ اللهُ فِي آيَةٍ   مِنَ الذِّكْرِ فِي طِبِّنَا مَا يَجِبْ
فَقَالَ تَعَالَى كُلُوا وَاشْرَبُوا   وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبّ

وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وجزاه عنا أفضل الجزاء وعلى آله وصحبه وسلم .

المحاضرة الخامسة

شرح دعائم الاسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، عن عبدالله بن عمر رضي‌الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » رواه البخارى ومسلم .

أيها المسلم الكريم : يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم لك أصول الإسلام بالأركان التى يقوم بها بناء البيت من أحجار وأخشاب وحديد ، فكما للبيت عناصر أولية كذلك الاسلام الذى هو تصديق وعمل واستسلام عناصرٌ وأصولٌ هى منه كأركان البيت ، وهناك أمور أخرى هى من هذه كالفروع من الأصول أو هى من آثار الاحسان فى هذه الأمور .

فأولى القواعد الاسلامية أنه لا إله موجود تصح عبادته ، ويعمد إليه فى قضاء الحوائج وتحصيل المهمات إلا الله رب العالمين الذى خلق كل شىء وبيده الأمر والتدبير ، ولا يعبد شىء سواه من ملك أو نبى أو كوكب أو طاغوت أو صنم ، فذلك كله شرك وباطل فكيف يشرك فى عبادة الواحد الأحد المنعم من لا يملك لنفسه ضراً ، ولا نفعاً ، ولا موتاً ، ولا حياة ، ولا نشوراً .

وكذلك التصديق بأن سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله

الله على فترة من الرسل لهداية البشر وإرشادهم لمصالحهم الدينية والدنيوية ، وإعانتهم على شئون الحياتين .

والاعترافُ بالوحدانية لله عز وجل وبالرسالة المحمدية أساس الاعتراف بالحقائق ومبدأ الهداية الحقة ولذلك بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانياً ـ الصلاة وهى دعاء وابتهال وخشوع وامتثال وتوثيق لصلة العبد بربه فيفيض عليه من خيره وتطهر نفسه من التكالب على أعراض هذه الحياة الفانية وتعوِّده الاخلاص والابتعاد من النفاق ، وتبعث فيه النشاط وتمرِّنه على أداء المأمورات فى مواعيدها المحدودة ، يقرأ فيها القرآن وقلبه خاشع ، وذهنه حاضر فيعلم من علومه ويهتدى بهداه وتصفو نفسه ويستنير عقله ، ولهذا كانت عنصراً أساسياً فى بناء الاسلام . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

ثالثاً ـ الزكاة ، وهى قليل من مالك أيها المسلم زائد عن حاجتك تخرجه للفقراء والمساكين وتحرر به رقاب الأسرى والمحتاجين وتعين به الغارمين من المدينين وتقوِّى به صرح هذا الدين فتكون بذلك قد رفعت البؤس عن البائسين وتعود مأجوراً محبوباً محافظاً على حياتك ومالك وقد خدمت دينك خدمة قيمة وجاهدت فى سبيله بمالك وخدمت نفسك بتطهيرها من رذيلة البخل والشح وتعويدها الخير ورفع مقامها بين الخلق .

ورابعها ـ صوم رمضان يطهر المعدة مما علق بها من بقايا الطعام، ويريحها من العمل عدة أيام ، ينمى فى نفسك الشعور بحاجة الفقراء والمساكين ، إذ به تذوق ألم الجوع والظمأ فتتذكر إخواناً لك بائسين تواسيهم بمعونتك وبرك ، ويزكى فيك روح التفكير ، إذ البطنة تذهب بالفطنة ، ويذكرك بربك فى كل حين ، وتقرأ القرآن وترطب لسانك بذكره وأنت صافى القلب .

وخامساً ـ حج بيت الله الحرام فتذهب إلى مكة البلد الأمين الذى نشأ فيه سيد العالمين ونبت فيه هذا الدين وترى أول بيت وضع للناس وتقوم بأعمال مختلفة كلها قربات من طواف وصلاة وسعى ووقوف بعرفة وذكر وتهليل وتكبير وتلبية وذبح هدى وتصدق على المساكين فتهذب نفسك بالسفر وتذكر النشأة الأولى للاسلام ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وتجتمع بإخوانك المسلمين عند بيت مولاك الذى دعاك وحياك وقربك وأدناك واختارك أن تكون أحد أفراد الوفد المتقبلين الذين نسلوا من كل حدب وأتوا من كل فج ، من مشارق الأرض ومغاربها وتفكر معهم فيما يعيد للاسلام مجده وما يقوّى سلطانه وتقف على حال إخوانك المسلمين .

تلك دعامات الاسلام فاحرص عليها ونمّها بالأعمال الصالحة . إنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أجْرَ المُحْسنين .

المحاضرة السادسة

عناية الإسلام بنظام الحياة الزوجية

وتحذيره من هدمها

الحمد لله على إفضاله ، والشكر له على نواله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والسالكين على منواله ، قال الله تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم « لاَ يَفْرَكُ (يبغض) مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخر » .

أيها السادة : لقد أعتنى الإسلام بنظام الحياة الزوجية وشرع لذلك قوانين الألفة ووسائل حسن المعاشرة وشيد صرح المحبة بين الزوجين على تأسيس حقوق وواجبات معلومة فى دائرة محدودة فمتى روعيت تلك الحقوق والواجبات عاشت الأسرة الإسلامية فى أرغد عيش وأهنأ حياة ، وحدد الشارع الحكيم لكل من الزوجين حقوقا ووظائف وبيّن أن حقوق الزوج أعظم فقال تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

فالذى يهدم الأسر الإسلامية ويفكك عراها ويضعف وحدة الأمة ويوغر الصدور ويهتك المستور ، هو الطلاق غير المشروع وهو أشد الأضرار فى مجتمع الحياة وأبغض الحلال إلى الله ، كم جرّ مصائب وفرق أسرًا وكم ضيّع وداد العشائر وفصل بين زوجين جعل الله بينهما مودة ورحمة ، وذهب بأطفالهم

في أودية الحيرة والضياع حين فقدوا النعيم في ظل اجتماع الأبوة والأمومة ، فلئن كانت الداهية أكثر ما تكون ألما للنفوس إذا أتت على غرة ، فالطلاق يزيد عليها لأنه يبدل الهناء بالشقاء والائتلاف بالاختلاف ، وقد أجاز الشارع الطلاق في أشد أحوال الضرورة إذا تعين طريقا للخلاص من النزاع ولكنه جعل سلاح ذلك الطلاق بيد الزوج لأن الرجل أقدر على ضبط نفسه من المرأة وأعمق إدراكا ، وهو الذي بذل الصداق من ماله وتحمل أعباء الزوجية ، قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ .

وقد نفر الله الأزواج من الطلاق إذا أحس أحدهم بكراهة أهله وأمرهم بذكر المحاسن فقال تعالى : ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

فإذا أحس الزوج بسوء خلق المرأة والكراهية لعشرتها فليذكر خدمتها لبيتها ورعايتها لأطفاله فيتوقع منها الخير وليتذكر عواقب الطلاق من فرقة ومتعة ونفقة ودفع مؤخر صداق وضيعة أطفال وعداوة أصهار إلى غير ذلك من المضار التي لا يشعر بمصائبها الزوج إلا بعد الطلاق ، فكيف مع ذلك ينتحل أضعف الأسباب ليتلاعب بالطلاق فيؤديه ذلك إلى انتهاك المحارم وارتكاب العظائم .

وقد رتب الله في كتابه الطلاق فقال : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ، فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ .

فجعل الطلقة الأولى رجعية تأديبا للزوجة لتذوق ألم الفراق وتقدر خسارة حياتها الزوجية وضيعة أطفالها ، ثم جعل الطلقة الثانية رجعية أيضا إيقاظا للزوجة الغافلة وتنبيها لأهلها ليأخذوا على يديها فتستقيم على طريقة صالحة للعشرة ، وجعلهما رجعيتين أيضا ليتروى الزوج ويفكر ويتدبر ويزن أمره قبل بت

الطلاق هل يصبر على فراقها فإذا لم يصبر راجعها ، فالطلاق الرجعى تهذيب للأخلاق ووقاية من خطر الفرقة النهائيه وتحصيل لسعادة الزوجية ثم تأتى بعد ذلك الدور الفرقةُ البائنة المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ .

فينظر الزوج امرأة أخرى وتنظر المرأة زوجا آخر فيفترقان ، ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ .

فانظر رحمك الله أيها الأخ الكريم إلى هذا النظام الإسلامى البديع فى ترتيب وقوع الطلاق رجعيا ثم بائنا مراعاة للمصالح وتنفيذا لسنة الآداب التدريجية ومحافظة على كيان الأسر الإسلامية لئلا تضيع أطفالها بين أم هدم العناد حياتها وأضاع الشيطان طاعتها لزوجها حتى فقدت سعادة مستقبلها وحفظ أطفالها وبين أب لا يفكر فى العواقب يندفع فى طلاقه طوعا لغضبه فيرسل الطلاق من فمه بدعيًا ثلاثة من غير تروٍّ ولا تفكير ويزيد فيحرمها على نفسه تحريما باتًا .

وربما ذهب لبعض الكتاب الجهلاء فلا يحذره من ارتكاب بدعة وهدم عصمة وكسر خاطر وإغلاق بيت ، فيجر عليه مشا كل ومصائب فليتق الله هؤلاء الكتاب وليقولوا قولا سديدا .

وبعد وقوع كارثة الطلاق البات يندم الزوجان فيسعى الزوج والأقارب والأحباب فيسألون العلماء ويلتمسون الحيلة ويسلكون المخارج البعيدة وقد ينكر الزوج المطلق ألفاظه ويغيِّر نيته أمام المفتى أو القاضى وكل هذا لا يخلصه من عذاب الله وغضبه فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وختاما نصيحتى للأزواج أن يجتهدوا فى حسن العشرة ويحذروا الوقوع فى ورطة الطلاق ويتجاوزوا عن كثير مما يفرط من الزوجات لضعفهن وعدم ضبط أنفسهن وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا » .

نسأل الله صلاح أحوالنا بمنه وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المحاضرة السابعة

من أدب الإسلام التحذير من السباب

قال الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ . وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

نهى الله تعالى عباده عن السخرية لأنها سبب البغضاء ووسيلة الفتن والبلاء ، بها يقع التشاحن بين القلوب وينفر القريب من قريبه والأخ من أخيه فلا تسخر من أخيك فربما كان عند الله أعظم منك مقاما وأشد قربا ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكنه ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فليست الكرامة عند الله بالمال ولا بالجمال ولا بالحسب والنسب ولكنها بالتقوى . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

وقد أخفى الله تعالى رضاه فى طاعته كما أخفى غضبه فى معصيته ، فرب عمل يسير من الطاعة تنال به عند الله مقاما كبيراً ، ورب معصية لا يؤبه لها يستحق بها صاحبها عقابا شديدا ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً يضحك بها الناس يهوى بها فى النار سبعين خريفا ، وهل أحد أقبح وأشنع ممن ينطلق لسانه فى ميدان السباب انطلاق السهم ؟ ثم لا يقف عند حد فى سبابه ل كل ما خطر بباله وعرف كيف ينطق به لسانه يواجه به أخاه ، ويدس

عرضه ويجرده من كل شرف ويجعل الناس ينظرون إليه نظرهم إلى أحط إنسان رماه به فى الحال ، وجرح به عاطفته ، فيسب أمه وأباه ويلعن جده وأخته وأخاه وربما يتطاول به الغضب فيقذفه بالزنى والفحشاء لا يخشى الله ولا يحذر اليوم الآخر ، ولا يستحى من الحق ولا يخاف من الخلق ، إن هذا الأمر تشمئز منه النفوس ويأباه الخلق الكريم والشيمة والشهامة الحقه .

المحاضرة الثامنة
فى إصلاح المجتمع

التسامح فى الإسلام

نحن المسلمين أهلَ الشريعة السمحة ، ندين والحمد لله بأسمح دِين فلم لا نتسامح فيما ينبغى التسامح فيه ؟ إن التسامح المنشود أيمن الصفات الحميدة أثراً وأجزلها فائدة وأعودها بالخير على مجموع الأمة ، يؤلف القلوب المتنافرة ، ويقرب النفوس المتباعدة ، ويهدىء الأرواح الجامحة فرب كلمة طيبة فضّت مشاكل كبيرة ، وحلّت عُقداً مستعصية الحل ، ورب تسامح فى أمر قليل حفظ من الوقوع فى خطر جليل .

والتسامح فى الحقيقة ثمرة جليلة لمجموع طائفة من الأخلاق الكريمة منها الحلم والصبر والعفو عند المقدرة والتواضع والسخاء .

والتسامح مظهر لهذه الأخلاق السامية وأثر من أعظم آثارها وثمرة من أطيب ثمارها فلا تتصف به إلا النفوس العالية ولا يوفق إليه إلا أرباب الهمم ،

ولقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم أجل الناس تسامحاً سواء كان ذلك فى معاملته الفردية أو فى مواقفه الخطيرة الاجتماعية ، مالم تقتض الحكمة السديدة ، المعاملة الشديدة فى مواقف محدودة رعاية للاصلاح ، وروائعُ الشواهد الجليلة على شريف تسامحه صلى الله عليه وسلم كثيرة ، على أن مظاهر تسامحه عليه الصلاة والسلام التى هى المثل الأعلى فى هذا الباب بل هى الدرس الأجلى لدى ذوى الألباب ، لا يكاد يتيسر استقصاؤها الألسنة والأقلام فلا بأس أن نذكر موجزها على طريقة الالمام وإليك الشواهد على ذلك .

الأول — ما خُيِّر النبى صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما ، وهذا من مظاهر تسامحه فى أحكامه التشريعية التى جاء بها رحمة للعالمين .

الثانى — ما انتقم النبى صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تُنتهك حرماتُ الله تعالى فيغضب لله لا لنفسه .

الثالث — ما عالج النبى صلى الله عليه وسلم أمراً من الأمور الحيوية بالشدة ، إلا إذا تعينت الشدة طريقا للحل واستحكم العناد فى نفوس الظالمين الأغبياء ومع ذلك فلا يزال يفتح باب الرجاء للوصول إلى السلم والرحمة .

الرابع — أوذى النبى صلى الله عليه وسلم من عشيريه وقومه أشد الأذى ووصل الأمر بسفهاء القبائل أن أغروا به صبيانهم فأدموا عقبه الشريف برمى الأحجار ، وفى غزوة أُحُدٍ شُجَّ وجهه الشريف وكُسِرت رَبَاعِيته وقُتِل عمه ومثِّل به وقُتِل أصحابه فما زاد صلى الله عليه وسلم على أن قال :

« اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ » .

يدعو لهم بالمغفرة والهداية ؛ وهذا من وفور شفقته صلى الله عليه وسلم ، فلم تتحرك به القوة الغضبية فينتقم لنفسه أو يكافئهم بالدعاء عليهم أو على الأقل يسكت عنهم انتظاراً لانتقام ربه ، فيقول : اللهم اهد قومى ، يذكر فى أحرج

المواقف قوميتهم فيقول: قومى، وهل وقف عند هذا الحد الكبير من التسامح ؟!
لا ، بل يعتذر لهم بقوله : فإنهم لا يعلمون .

هذه رحمته وتسامحه بالنسبة إلى خصومه وأعدائه فكيف تكون شفقته ورحمته بالنسبة إلى أحبابه وأتباعه ؟ ولا عجب . . فهو المبعوث رحمة للعالمين والموصوف فى القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

الخامس — تسامحه صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية بقبول تلك الشروط القاسية التى فرضتها قريش على المسلمين ، وقد كان ذلك التسامح النبوى من أيمن التصرفات الحربية وأعودها بالخير على المجتمع الإسلامى ، فقد وضعت الحرب أوزارها بين الفريقين وأمن الناس على أنفسهم وانتقلوا بالمتاجر وامتزجوا فانشرحت صدور للاسلام واهتدى كثير من الناس وجاء الفتح الأعظم فدخل الناس فى دين الله أفواجا ، وقد كان تسامحه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أعظم لما جىء بالأسرى ؛ وقد زاغت أبصارهم وعلموا أنه يوم هلاكهم وطالما آذوه من قبل وألبوا عليه القبائل فقال صلى الله عليه وسلم :

« اذهبوا فأنتم الطلقاء » فاستلّ بهذا ما فى نفوسهم من غطرسة وعناد .

السادس — تسامحه صلى الله عليه وسلم عندما كان نائما فى بعض غزواته فانسلّ إليه رجل من المشركين خِلسة فاخترط سيفه وكان معلقاً فى شجرة واستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فرأى الرجل والسيفُ مُصْلَت فى يده فقال له الرجل من يمنعك منى الآن يامحمد ؟ فقال له : الله عزّ وجلّ فوقع السيف من يد الرجل فأخذه صلى الله عليه وسلم وشهره عليه فقال له من يمنعك منى الآن ؟ فقال الرجل : يامحمد كن خير آخذ ، فعفا عنه فأسلم الرجل .

واقرأ أيها المسلم أخبار تسامحه صلى الله عليه وسلم مع الأعراب الذين قسم عليهم الغنائم حتى جبذه أعرابى بثوبه فأثر ذلك فى عنقه الشريف وقال له .

يامحمد أعطى من هذا المال فإنه ليس مال أبيك ولا جدك فقال عليه السلام : « الْمَالُ مَالُ اللهِ وأنا عَبْدُهُ » وأعطى الرجل فأغناه .

وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل دائن فأغلظ عليه القول فانتهره الفاروق رضى الله عنه فقال عليه الصلاة والسلام : « دَعْهُ يا عُمَرُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً » .

ولا تنس مواقف تسامحه فى معاملته للمنافقين المستظلين بظله ، المحتمين بحمايته المطلعين على أسرار المسلمين ليفشوها ، وقد كان صلى الله عليه وسلم عالماً بهم لأن الله تعالى أطلعه على دخائل قلوبهم ومع ذلك ينهى عليه الصلاة والسلام من استأذنه فى قتل أحدهم فيقول « لاَ تَفْعَل يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » . ولذا عظمت الدعوة إلى التسامح فى شريعتنا الإسلامية حتى لقبت بالسمحة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

أيها المسلمون . أليس يسمح الله عن عباده ؟ فلنتسامح ، ليتسامح البائع مع المشترى وليتسامح الدائن مع المدين ، وليتسامح الرئيس مع المرءوس ، وليتسامح المخدوم مع الخادم ، وليتسامح الراعى مع أهله ، وليتسامح المعلم مع المتعلم. فرحم الله عبداً سمحاً إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا اقتضى قال الشاعر :

سَامِحْ أَخَاكَ إِذَا خَلَطْ ... مِنْهُ الْإِصَابَةَ بِالْغَلَطْ

وَتَجَافَ عَنْ تَعْنِيفِهِ ... إِنْ جَارَ يَوْمًا أَوْ قَسَطْ

مَنْ ذَا الَّذِى مَا سَاءَ قَطْ ... وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطْ

غَيْرُ نَبِيِّنَا الَّذِى ... عَلَيْهِ جِبْرِيلُ هَبَطْ

نسأل أن يعفو عنا ويسامحنا ويغفر لنا آمين .

المحاضرة التاسعة

الحث على المواساة

﴿ الْمُسْلِمُونَ فِي تعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهرِ وَالْحُمَّى ﴾ .

فكما أن الجسد الواحد إذا مرض منه عضو تألم له الباقى فلم يذق نوماً وسرت إليه حرارة الحمى فآلمته ، فكذلك المؤمنون حقيقة إذا ناب واحداً منهم نائبةٌ شعر بألمها الباقون فسعوا بما فيهم من العواطف لدفع الألم عنه وجلب الخير إليه ، فالمسلمون فى مجموعهم كشخص واحد ، فالخير يصيب الواحد منهم كأنما أصاب كلهم ، والشر ينوبه كأنما ناب جميعَهم ، بهذا شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين حقاً بالجسد الواحد فقال :

﴿ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَعَاطُفِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهرِ وَالْحُمَّى ﴾ رواه البخارى

فلنعتبر بهذا المثل الرائع فى تحقيق أخوة الإسلام ولنعطف على الفقراء ولنواس الضعفاء ، ولنرحم المنكوبين ، ولنساعد المصابين بأنفسنا وأموالنا جماعات وفرادى لأن المؤمنين إخوة ، وقد عرف المسلمون فى الصدر الأول قيمة هذه الأخوة ، وصدق تلك المودة ، وما ينتج عنهما من منافع دنيوية وأخروية ، وعرفوا أن الخير لا يأتيهم كاملا إلا بتآخيهم ، وعرفوا أن انطواء الإنسان على نفسه وعدم شعوره بشعور غيره يؤدى إلى تفكك هذه الروابط وانحلال هذه القوى ، فضربوا أعظم المُثُل التى لا يزال التاريخ الإسلامى يحدثنا عنها وعن

آثارها الرائعة ، فسجل لهم أنصع الصفحات فى الجهاد بالنفس ، والمواساة بالمال بما يعجز التاريخ أن يسجل مثله إلى يوم القيامة لأى أمة من الأمم ، هاهم المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم بعد أن آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقاسمون أموالهم بالسوية عن طيب خاطر وسماحة نفس يواسى الأنصار إخوانهم المهاجرين . ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

تصوّر أيها الأخ المسلم هذا المجتمع الإسلامى الذى يسوده الوئام لا الخصام ، وتربطه المودة لا المادة ، وتسيطر عليه الأخوة لا السلطة ، كم تتمنى لو عشت فيه ولو ساعة واحدة من حياتك بين الأنصار والمهاجرين فعسى الله أن يوفق المسلمين ويلهمهم أن يحققوا طرفاً من هذه الأخوة الكريمة السمحة ابتغاء مرضاة الله ، وإحساناً لوجهه الكريم ، بهذا نستطيع أن نستعيد عزتنا وبه يمكّن الله لنا فى الأرض محقّقاً وعده كما حققه لآبائنا وأجدادنا وما ذلك على الله بعزيز .

أيها المسلمون : لابد لكل واحد منا من مساعدة الآخرين ، فليكن إذن مع الناس أخاً ، ولتكن الصلة بينه وبينهم أعظم من المادة ، وأبقى من المصلحة المؤقتة ، يربط نفسه مع أخيه برباط قوىّ لا تشوبه شائبة ولا يعكر صفوه سوء ، لتتصل الروح مع الروح كما يتصل الجسم مع الجسم ، ولذا كانت المواساة أجل عاطفة شريفة ، وأطهر خليقة محمودة ، فإذا كانت المواساة صفتك واسك الناس كما واسيتهم ، وكانوا لك كما كنت لهم ورحمك الرحمن الرحيم فأسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة ، وإن تركتها إلى القساوة قست عليك الخليقة وتركوك إذا حلت بك ضائقة وفرّوا عنك ، فارحم تُرحم ، وواس إخوانك يرفع الله شأنك ويعلى درجتك ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

نكتب هذا بمناسبة تأسيس جمعية مواساة للمنكوبين ، فإن هذا المشروع من أجلّ المشاريع التي تكسب البلاد الرفعة والقوة ، فحرىٌّ بنا أن نتكاتف جنباً إلى جنب لتأييده وتنفيذه وتركيز القوى فيه و بنائه على أسس قوية وقواعد متينة يقوم بها ذوو الكفاية من الرجال المخلصين لأممهم ووطنهم .

فهيا بنا نمضى قُدُماً نشجع هذا المشروع ونؤيد رجاله فإنه مشروع جدير بالعناية والاهتمام ، وهو من أكبر العوامل لتكوين نهضة اقتصادية عمرانية ، وانتشال عوائل منكوبة ، وأسر مصابة ، وأفراد ملهوفين ، ولا نستطيع أن نحصى فوائده . وفق الله الجميع لما يحب ويرضى ، والحمد لله رب العالمين .

المحاضرة العاشرة

التحذير من المدارس الأجنبية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أيها السادة :

لقد شاع فى البلاد الإسلامية الآن التساهل فى أمر عظيم أدى إلى فتنة كبرى وعاقبة وخيمة . تلك هى إدخال بعض المسلمين أولادهم فى مدارس الأجانب ممن عرفوا بالعداوة لدين الإسلام وتربص الدوائر بأهله .

أليست هذه المدارس الإسلامُ فيها دارس والتبشير فيها بالمسيحية منتشر يسرى فى الأولاد سريان النار فى الهشيم أو سريان سم الأفاعى فى جسم السليم فيصبح الولد متأثراً بما يلقى إليه من عقائد الكفر بعيداً عن هدى متهيئاً لقبول ما يلقى إليه فلا يقبل إذا نشأ أىّ نصيحة وتوجيه بل يكون زنديقاً

ملحداً وعدواً للدين مفسداً ، والأولياء مسئولون بين يدى الله تعالى عن أولادهم أفلاذ أكبادهم وثمرات قلوبهم وهم صغار فى أجسامهم وعقولهم وأمانات تحت رعاية الآباء قد ولدوا على الفطرة ، فليتق الله هؤلاء الأولياء وليحذروا سخط الله بإلقاء أولادهم فى أحضان أعدائهم .

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

نظرة واحدة إلى برامج الدراسة فى هذه المدارس الأجنبية تكفى العاقل للبعد عن هذا الخطر الداهم والتيار الجارف ، إن الطبع سراق ، وكل قرين بالمقارن يقتدى فكيف بهذا الناشىء الصغير يعيش بين قوم كافرين ، يحضر حفلاتهم ومجامع لهوهم وأعيادهم ، فتبصر أيها الوالد أرشدك الله كيف يتلقى الولد توجيهات أساتذته وأقرانه مما ينافى تعاليم الإسلام حتى يصير إباحياً تارك الصلاة محبا للضلال مستهزئا بأبويه وعشيرته وعاداتهم وما الدين إلا الحب والبغض .
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

أيها الوالد المتبصر : لاتغتر بالبنايات الفخمة والأزياء الجميلة والأنظمة البراقة والدعايات الواسعة ، فإنها وسيلة لإبعاد ولدك عن مستوى دينك الحنيف وأخلاقك العربية النبوية ، فعليك بتكوين ولدك أولا تكويناً دينياً خالصا حقا ، وإذا ما قويت عقيدته وصفت سريرته فلا تخف بعد ذلك عليه من كيد الغاشين ، وإغراء المفسدين ، فبعد القوة والاستعداد لايخشى عليه الفساد ، أجل إن فساد أبناء المسلمين باسم الثقافة الغربية هو أكبر سلاح ماض هدام فى يد أعدائنا لينشأ النشء الجديد من أبنائنا اللاجئين إليهم وقد فقد عزته وقوميته وعروبته وعادى دينه وسيرة الآباء الأمجاد من السلف الصالح ، كل ذلك جاء من طريق الثقافة وباسم التعليم فى مدارسهم ، والأولياء غافلون عما يحاك لهم

ولأبنائهم فى معترك الظلام مغترون بالدعاية والنظام ودعوى التربية وانسجام المندام ، فما أشأم تلك الشهادة التى يحملها الولد إذا رجع لوطنه وأهله ، إنه يحتقر كل شيء ويعادى كل وضع إسلامى لأنه أنف طريقاً جديداً لا فرق فيه بين ذكر وأنثى ولا بين مسلم وكافر ، والذنب فى هذا ذنب الأب الغر المسكين ، الذى ألقى ولده فى أحضان أعدائه الذين غذوه بلبان تضليلاتهم فكيف يكون مثل هذا مسلما ؟ .

قال الشاعر :

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

قل لى أيها العاقل : بربك هل يكون الطفل الذى نشأ بين جدران هذه المدارس إلا جنديا من جنود الكفر ؟ فما أجهل من يضيع مستقبل ولده ويهدم دينه بيده ، أيرجو الأب من ولده هذا أن يكون غنيا عظيم الجاه رفيع الوضيعة ولقد نسى أو تناسى أنه قد صار بعيداً عن الدين أفقر مايكون خلقا ودينا وعملا ، فمن يتق الله يرزقه من حيث لايحتسب ، وما عندكم ينفد وما عند الله باق ، هذا كله مع تقدير الحاجة إلى المدارس الأجنبية ، فكيف والحمد لله وقد أنشئت فى بلادنا مدارس عالية ثقافتها راقية تنفق عليها الملايين ، ويعلم فيها أساتذة أشرق عليهم نور الايمان والخوف من الله عز وجل ، ويستقدم لها أكفاء مبرزون فى العلوم .

أيها المسلمون : إذا بقينا على هذه الحال نخشى أن ينزل بنا عذاب ويحل بنا سخطٍ من الله رب العالمين .

﴿ فليحذرِ الذين يخالفون عن أمره أن تصيبَهم فتنةٌ أو يصيبَهم عذاب أليمٌ ﴾ وهؤلاء الأعداء يريدون لنا المصائب يخدعوننا باسم التعليم نبث روح المروق من الاسلام فى أبنائنا ، قال الله تعالى:

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً

يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

أسأل الله تعالى أن يصلح فساد قلوبنا ، وأن يحفظ أبنائنا ويوفقنا لحراسة دينا وحفظ عقائدنا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

المحاضرة الحادية عشرة

التحذير من الكذب على الجناب المحمدى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد انتشرت رؤيا خاطئة منسوبة لرجل يسمى بالشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية ، اشتملت على وعد ووعيد وأباطيل وخرافات وجراءة وكذب على الجناب النبوى العظيم ، ومن العجب أن بعض الجهلاء اعتنى بطبعها ونشرها ظنا منه أنه على شيء . ولا نزال نسمع خبر هذه الرؤيا منذ عشرين سنة تنتشر فى الآفاق وتطبع وتعلق على الجدران ويخطب بها جهلة الخطباء على الناس ، ولا يزال واضعها يتعاهد الناس منذ زمن طويل فى المشرق والمغرب يغرّ الناس بإظهار النصيحة وأيمانه الكاذبة ويتستر هذا الدجال المجهول بنسبتها للجناب الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ودينُ الاسلام والحمد لله غنى بمبادئه الكريمة ومحاسنه القويمة ووعده ووعيده الحقيقين ، وليس القصد من هذه الرؤيا فيما أظن إلا التنفير عن الاسلام إذا ظهر كذب أقوالها وخلف وعدها ، وهى وسيلة لجمع المال الحرام ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وترك للناس شريعة واحدة لاتحتاج إلى تتميم برؤيا

فى المنام ، والرؤيا المنامية ليست طريقا للتشريع ولا مستنداً لحكم شرعى أصلا لأن النائم لا يضبط لمغلته بمنامه فكيف يعتمد على رؤياه .

نعم رؤياه صلى الله عليه وسلم فى المنام حق لقوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي ﴾ ولكن الرؤيا شىء والاخبار عنه بأشياء للتشريع والاعتقاد والعمل شىء آخر .

على أن الرائى هنا مجهول الشخصية ، وحديثه عن رؤياه يحمل أدلة كذبها فإن فيها ما يخالف الشريعة المحمدية الثابتة ، فإن تعيين هذا الدجال وقتاً معيناً لقيام الساعة ونزول عذاب أو مطر على زعمه كذب محض وافتراء ، فإن علامات الساعة الصغرى والكبرى معلومة من القرآن ، ومن كتب السنة المعتبرة وليس فى ذلك تعيين زمن أصلا ، فهذا الجاهل رفع نفسه إلى درجة علم الغيب فادعى تعيين الزمان وهذا من وسوسة الشيطان ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾

ودعوى هذا الدجال أن الشمس لا تغرب ثلاثة أيام افتراء واختلاق ، فإنه لم يذكر فى أشراط الساعة غروبها هذه المدة ، إنما المعلوم طلوعها من مغربها بأمر الله فيغلق باب التوبة فى وقت لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾

وكذلك دعواه أن من لم يصدق هذه الرؤيا يسلب إيمانه والعياذ بالله تعالى كأنها وحى منزل ، وكذلك ترتيبه اللعنة على تكذيبها ، ولعن المسلم لا يجوز شرعا ، واللعنة إن لم تجد مسلكا مستحقا رجعت على قائلها فهى عائدة عليه ، وكذلك جعل كتابتها سببا للايمان وقضاء الديون وغفران الذنوب سبحان الله العظيم إن المذنب لو نقل القرآن الكريم والعلم الشرعى كله لا يخلصه ذلك من

العذاب على تفريطه فى أداء الواجبات وارتكاب المآثم .

إن هذا الكذب الصريح ينادى فى وجه صاحبه بالخذلان وأن عمله عمل شيطان وأنه دسيسة خبيثة وليس للحجرة الشريفة خادم اسمه الشيخ أحمد أصلا ، فاحذروا ياعباد الله هذه الدسائس والأكاذيب فإن الكذب أقبح الخصال ، وإنه وخيم العاقبة ، مخز لصاحبه ، مفسد لنظام المجتمع والأخلاق .

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم :

﴿ عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ حَتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا ﴾

وتعظم الجريرة إذا كان الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ففى الحديث:

« مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، فَإِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى غَيْرِي » وفيه « مَنْ كَذَبَ فِي حُلْمِهِ كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ » وفيه « إِنَّ مِن أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يَرَى فِي الْمَنَامِ مَالَمْ يَرَه »

على أنه قد جاء فى أثناء هذه الوصية النهى عن الجهاد وطلب موالاة الأعداء ، وهذا مما يؤيد أنها دسيسة يراد بها الكيد للاسلام وأهله ، وعندنا والحمد لله فى الكتاب والسنة من المواعظ والارشادات ، وبيان أشراط الساعة

ما يغنينا عن هذه المنشورات ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن يجعلنا هداة مهتدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المحاضرة الثانية عشرة

التمسك بالدين الاسلامى

الحمد لله الذى رفع لمن وقف ببابه قدراً ، وأعلى لمن انتسب لجنابه ذكرا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جرى الماء النمير من بين بنانه ، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه ، وعلى آله الأخيار وصحابته الأبرار والتابعين لهم بإحسان .

أيها المؤمنون ـــ هذه ليلة مباركة ، أتشرف فيها بأن ألقى على مسامعكم موعظة دينية تذكيراً بالله وقياما بواجب النصيحة وتلبية لنداء الحق والفضيلة وتحقيقاً لمقام الدعوة إلى الله ، ومعالجة لبعض أدوائنا الاجتماعية ، سائلا من الله أن يمرن هذا العمل بالإخلاص والنفع والقبول .

إخوانى — إن التمسك بالوحى الربانى والهدى النبوى هو أصل كل سعادة ورقى وهناء ، وإن التساهل فى أمر الدين هو ينبوع كل فتنة ومحنة وبلاء ، فالله الله فى كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وتراث سلفنا الصالحين وآبائنا الأمجاد حماة الإسلام الأعزة الأتقياء ، الذين هدوا العالم ودكوا العروش وأسعدوا البلدان وفتحوا بالمعارف الأذهان ، وأسسوا حضارة مزدهرة إسلامية على تقوى من الله ورضوان ، فتنبه بإرشادهم الغافل ، واهتدى بهديهم الجاهل ، واستنارت القلوب ، وتهذبت النفوس ، واعتدلت العادات ، وانتشرت

المعارف ، وزالت الفوضى الاجتماعية واستقامت الأحوال ، وتجلى الإنصاف يقرره القرآن ، ويبيِّنه سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم مؤيدا بالبرهان ، حتى حفظ التاريخ بين دفتيه جلائل أعمالهم فى مظهر الإكبار والإعجاب ، وأبقى لهم ذكرا عاطرا يفتر عنه ثغر الإخلاص والتقدير ، فهم حماة الإسلام يلاقون الأسود فيصرعونها ، ويجارون الرياح فيسبقونها ، يخفضون أجنحتهم تواضعا للمستضعفين ، ويرفعون رؤسهم عزة على الجبارين ، تعترضهم الأخطار فيخوضون غمارها ، ويشرحون أمراض النفوس فيضعون الدواء موضع عللها ، عدلٌ هو القسطاس المستقيم ، وسخاء هو الغيث النافع العميم ، وتمسك بالدين تباع له الأرواح بيع السماح ، وجِد فى طلب العلم وإن كان بمناط الثريا ، وطموح إلى المعالى وإن انتبذت وراء الفلك الدوار مكانا قصِيا ، وارتباط قلوب بالتعاطف القوى وامتلاء صدور بالغيرة على الحقوق الإسلامية ، وإخلاص فى الكفاح تسقط أمامه المنافع الخاصة جملة ، فما نالوا ذلك كله إلا بالتمسك بالدين واعتقاد توحيد الله ، وإخلاص العبادة لله ، وبتنزيه العقائد على ضوء الكتاب والسنة عن الخرافات والبدع والأضاليل وبالتواصى بالحق وبالتناصح فيما بينهم ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أيها المؤمنون — ألاَ نظرةً إلى تاريخنا الذهبي الأول تبعث فينا روح العمل والإخلاص ، ألا رجوعاً إلى العمل بكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ ألاَ اعترافاً بذنوبنا نستمطر به سحائب الرحمة الربانية ؟

ألاَ تبصُّراً فى العواقب ! ألا قلوباً تذوب من عظمة الله ! ألا عيوناً تبكى من خشية الله ! ألا أفئدة تخشع لذكر الله ؟ ألا توبة تمحو عنا السيئات ، وتؤهلنا إلى رفيع الدرجات ؟ فاذكروا الله عباد الله ووحدوه توحيداً خالصاً .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأَصِيلاً ، يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴾

أيها المؤمنون — أوصيكم ونفسى بتقوى الله ومراقبته مراقبة من يعلم أنه يراه والتمسك بالدين الإسلامى والعناية بتربية نشئكم تربية دينية ، وتحذيرهم من معاصي اللسان والجراح ، ومن ضياع الأوقات فى الملاهى والألاعيب المخلة بالمروءة .
وعليكم بالمحافظة على الصلوات فى الجماعات ، والتناصح بالخير ، والتواصى بالصبر ، وعليكم بالعناية بالتفقه فى دين الله ، فلا يدخل أحد منا فى أمر حتى يعلم حكم الله فيه فينبغى للباعة أن يتعلموا أحكام البيوع الشرعية ، وللصيارفة أن يعرفوا أحكام الصرف الشرعى ، ويجب على تجارنا أن يراقبوا الله تعالى ، وأن يحذروا من الغش والأيمان الكاذبة ، والاحتكار لاسيما فى هذا البلد المقدس فقد روى الطبرانى فى الأوسط باسناده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

﴿ احْتِكَارُ الطَّعَامِ بِمَكَّةَ إِلْحَادٌ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

فارجعوا إلى الله أيها المؤمنون وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا ، وفروا إليه من الفتن والمعاصى . ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ .

واعلموا رحمكم الله أن رحمة الله قريب من المحسنين ، وأبوابه مفتوحة للطالبين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ، فتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقولوا كما قال الأبوان :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وتذكروا نعم الله عليكم وما أنتم فيه من الأمان والاطمئنان فى جوار هذا البلد الأمين ، ومشاهدة بيت رب العالمين ، واشكروا ما تفضل الله به عليكم من الأرزاق والخيرات التى تجبى رزقا من لدنه ، فى وقت أحدق الخطر فيه بالعالم ، ونحن فى بحبوحة الأمان رافلون ، وبجوار بيت ربنا منعّمون ، فالحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيده ، سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

تمت

تم طبع هذه المحاضرات القيمة فى الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٨٥ هـ (١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٥م) بالقاهرة نفع الله بها المسلمين وجزى كاتبها خير الجزاء فى الدنيا والآخرة .

ثناء وتقدير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .
(وبعد) فقد اطلعت على هذه المحاضرات القيّمة التى دبّجتها براعة صديقنا العلامة الجليل السيد علوى بن السيد عباس المالكى المكى حفظه الله بإفاضة وإسهاب ، وصياغة بديعة بليغة تسترعى الأنظار وتثير الاعجاب فالحمد لله تعالى إذ وفقه لتحريرها لخير الإسلام والمسلمين ، وأداء لما أوجبه الله على العلماء المخلصين ، من الإرشاد والبيان ، والدعوة إلى سبيل الرحمن ، والتحذير من البدع والفتن الشائعة فى هذا الزمان ، والله تعالى هو المرجو أن ينفع بها عامة المسلمين وخاصةً الناشئين فما أحوجهم اليوم إلى التحصّن بالإسلام ، والعلم بمحاسنه وبما امتاز به من الحِكَم والأحكام ، صيانةً لأنفسهم من الفتن والشبه والأوهام ، التى يثيرها الأعداء الماكرون ، وينشرها الملحدون المارقون ، ويخدع بها الأغبياء الجاهلون ، وما أجدر العلماء وولاة الأمور باليقظة والانتباه والله ولىُّ من يتولاه كما نرجوه تعالى أن يجزى صديقنا السيد الجليل خير الجزاء على صالح العمل ويحقق له مايرجوه من الأمل إنه سميع مجيب ؟

كتبه
حسنين محمد مخلوف
مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

٢٣ رجب سنة ١٣٨٥ هـ
١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٥ م